* **شيخ وعّاظ مصر : ورجل العامة الشيخ عبدالحميد كشك أسد المنابر :**

حين صمت الجميع تكلّم هو ـ رحمه اللّه ـ بلسان الصدق. . . في وقت علا فيه النفاق هدر الليث ووصف هذه الأيام فقال في مذكراته «قصة أيامي»:ـ

«أيام بلا شمس وليالٍ بلا قمر، تلك التي صار المعروف فيها منكرًا، والمنكر فيها معروفًا، والتي صار شعارها:

صوموا ولا تتكلّموا إن الكلام محرمُ
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النُّوّمُ
إن قيل إن نهاركمُ ليلٌ فقولوا مظلمُ
أو قيل هذا شهدكم مرٌّ فقولوا علقمُ

نعم لقد أصبح الشعار للمجتمع «نافقْ أو وافقْ وإلا ففارقْ». وضاعت النصيحة كما ضاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحوّلت الأمة إلى أشباح تتحرّك، ومَنْ قيل عنه إنه صاحب مبدأ أو يدعو إلى مبدأ، فليس مكانه بين الناس، إنما يُعزَل بعيدًا عنهم هناك وراء القضبان ﴿**أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾ وكم يقف الإنسان عاجبًا مشدوهًا من شدة العجب عندما يقرأ قول اللّه تعالى على لسان نبيه صالح وهو يقول لقومه: ﴿**يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**﴾ إنها ذروة المأساة وقمة الملهاة، ألا يحب الناس الناصحين حتى يقول الناصح الأمين:

نصحتُ فلم أفلح وغشّوا فافلحوا فأوقعني نصحي بدار هوان

أصبحت سماء مصر ملبدة بغيوم النفاق والظلم، فهذا صاحب قلم يسيل مداده سُمًّا ناقعًا يريد أن ينافق صلاح نصر فيكتب عنه قائلاً: «إنه الرجل الذي تكلؤنا عينه بالليل ونحن نيام»، ثم يستطرد قائلاً: «إنه الرجل

الذي بلغ من دقة رقابته أنه يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور»، هل هذه العبارة في حاجة إلى تعليق؟!.. لقد بلغ النفاق مداه عندما وقف أحد الشعراء ينافق عبدالناصر فيقول:

بشراى إن صلاح الدين قد عادَ وأصبحت هذه الأيام أعيادا
أجمالُ ما لك من بين الأنام فتى في الشرق والغرب ممَّن ينطق الضادَ
لو كان يُعبد من بين الأنام فتى كُنّا لشخصك دون الناس عُبّادا

وهذا يذكرني بذلك المعتوه[1] الذي دخل على الحاكم ذات يوم في سالف العصر فقال له:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهّارُ

إن النفاق شجرة خبيثة مرّة المذاق اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، فحق علينا قول اللَّه تبارك اسمه ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً**﴾.

أمرناهم بالمعروف والعدل والإحسان فاستكبروا في أنفسهم وعتوا عتوًّا كبيرًا.

وفرق كبير بين أن يقول اللَّه تعالى: ﴿**فَفَسَقُوا**﴾ وبين أن يقول: أن يفسقوا.. ثم تأملّ كيف جاء العطف بالفاء في «ففسقوا»، وهي تفيد الترتيب والتعقيب. ولم يأت بثم التي تفيد الترتيب والتراخي، مما يعطيك لمحة قرآنية عميقة بأن هؤلاء القوم المفسدين قد بلغ من جرأتهم أنهم فسقوا عقب الأمر مباشرة استهزاءً واستكباراً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحق.

وفي قراءة في تلك الآية: ﴿**أَمَّرْنَا مُتْرَفِيهَا**﴾ فتشديد الميم في أمَّرنا أي جعلنا أمراءها مترفيها ومفسديها. وقد جاء في حيثيات الحكم على أصحاب

(١) هو ابن هانئ الشاعر يمدح المعز لدين اللَّه الفاطمي.

الشمال قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾، وجاء في دعاء الصالحين: اللَّهم ولِّ أمورنا خيارنا ولا تُوَلِّ أمورنا شرارنا.

كان الإمام ابن الجوزي يقول: إني لأظلّ أتقلّب في فراشي طول الليل أبحث عن كلمة أرضي بها الحاكم ولا أُغضب بها اللَّه فلا أجد»[1].

● وقد أخبر النبي ﷺ عن خطر النفاق فقال: «**أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان**»[2].

«إن الخطايا ينادي بعضها على بعض» فإذا أُخرست الألسن واستبدّ الحاكم، وصار الذئب راعيًا، والخصم العنيد قاضيًا، فكان الظلم والاضطهاد الذي ينادي على القتل والتشريد والسجون والمعتقلات.

عندما يولي ربيع الحرية مدبرًا، يحل محله لظى الاستبداد، فإذا انتكست القيم، واهتزت المعايير، وانقلبت الحقائق، طفا على وجه الماء هذا الغثاء... إنهم أصحاب القلوب المظلمة، والأفئدة المتحجّرة.

إذا وصف الطائي بالبخل مادرٌ ... وعيَّر قسًّا بالفهاهة باقلُ
وقال السهى للشمس أنت ضئيلة ... وقال الدجى للصبح لونك حائلُ
وطاولت الأرضُ السماء سفاهةً ... وفاخرت الشهبَ الحصى والجنادلُ
فيا موت زرْ إن الحياة مريرة ... ويا نفس جدي إن دهرك هازلُ

□ يقول الشيخ عبدالحميد كشك ـ رحمه اللَّه ـ في مذكراته ص(٢٢٦): «إن العالم يجب أن يكون كما قال اللَّه تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ**

---

(١) «قصة أيامي» ص(١٣٠، ١٣١، ١٣٢).

(٢) **صحيح**: رواه ابن عدي عن عمر، وابن حبان والبزار والطبراني في «الكبير» عن عمران، وكذا رواه أحمد والضياء في «المختارة»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» ص(١٢٨)، و«صحيح الجامع» (٢٣٩).

عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وكما قال جل شأنه: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

وتاريخ الإسلام مليء بمواقف العلماء من الأمراء. قال عمر بن عبدالعزيز ذات يوم للحسن البصري: عظنا يا تقي الدين وأوجز فقال له الحسن: يا أمير المؤمنين: صم عن الدنيا وأفطر على الموت، وأعدّ الزاد لليلة صبحها يوم القيامة».

* وهكذا وقف أهل الدعوة موقف الناصحين الأمناء يوجِّهون وينصحون لا يبتغون من وراء ذلك كرسيًّا زائلاً أو منصبًا فانيًا، إنما كانوا كما قال اللَّه تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ هؤلاء هم أصحاب الرسالات، لم يبيعوا آخرتهم بدنياهم، ولم يبيعوها بدنيا غيرهم، لم يسعوا ولم يلهثوا وراء الشهرة والكراسي المزورة، إنما باتوا على الطوى وقالوا: «نحن في سعادة، لو علمت بها الملوك لجالدتنا عليها بالسيوف»... ويوم يتردّد العالم على باب الأمير فإنه متهم في دينه، ويوم يصير هواه تبعًا لهوى الحكّام يحل ويحرّم إرضاءً لأهوائهم، فإنه قد وقع فريسة للشيطان بل صار أستاذًا له.

* قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

إذا وصف الطائي بالبخل مادرٌ ... وعيَّر قسًّا بالفهاهة باقلُ

وقال السهى للشمس أنت ضئيلة ... وقال الدجى للصبح لونك حائلُ

فلا تصاحبْ غنيًّا تستعزّ به ... وكن عفيفًا وعظمٌ حرمة الدين
واسترزق اللّه مما في خزائنه ... فإن رزقك بين الكاف والنون
واستغن باللّه عن دنيا الملوك ... كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

*** الشيخ كشك والإعلام:**

يقول ـ رحمه اللّه ـ: «ما أشد غضب الذين هاجت عقارب البغضاء في صدورهم فصدوا عن سبيل اللّه بعدما باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم... ما أشدّ غضبهم على أهل الحق وما أكثر أذاهم للذين يؤدون الدعوة إلى اللّه على أنها رسالة يبتغون بها وجه اللّه مصداقًا لقوله جل شأنه ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾.

* ومصداقًا لقوله تبارك وتعالى: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾.

ذات يوم صائف شديد القيظ كأن شمسه أشرقت من بين الرمال لا من بين السحب ذهبت إلى ديوان الوزارة للتحقيق بناءً على استدعاء وصلني وكان على رأس الدعوة شيخ فصيح اللسان ولكن قلبه لم يكن كفصاحة لسانه بل كان يخشى على كرسيه، ومررت عليه في الوزارة قبل أن أدخل على السيد المحقق وهو وكيل الوزارة مررت على الشيخ بصفته ممثلاً للدعوة وعرضت عليه أن يحضر هذا التحقيق ليكون حكمًا بيني وبين هذا الإنسان الذي لا يعرف للعلم كرامة ولا للعلماء احترامًا ولكن الشيخ اعتذر عن الحضور بلباقة وذلك حتى يُجامل الوكيل حرصًا على كرسيه، وهو الذي كثيرًا ما سمعناه يصرخ على المنابر ويصيح كالأسد الصهور مناديًا بأعلى صوته قائلاً: «إن الفضيلة تُذبح... إن الإسلام يُحارب... إن الباطل يُعربد

في عرصات الدنيا» الكلام سهل والبلاغه مواتية والبيان والبديع... والفصاحة والمعاني، كلها بين يديه... ولكن إذا نزل أحدهم ميدان التجربة اصفرّ وجهه وجلاً، وفرّ من الميدان فراره من الأسد.

مهما يكن من شيء فقد دخلت على المحقق وقد أحضر معه شيخين من شيوخ الأوقاف لهما مكانة في إدارة الدعوة وكان السؤال هذه المرة: لماذا تهاجم الإعلام؟ وقلت: «إن الإسلام لا يعرف الهجوم؛ لأن الهجوم من صفة الباطل لكن الإسلام يعرف الدعوة إلى الحق وتصحيح المفاهيم المنحرفة، ولقد انحرف الإعلام عن سبيل الهدى، واتبع غير سبيل المؤمنين، فبدلاً من أن يكون عامل بناء صار معول هدم، وهو سلاح له خطره، حتى قال أحدهم: «أعطني شاشة أُغيِّر بها شعبًا»، وكان كارل ماركس يقول: «لأنسين الناس اللَّه بالمسرح». ولو كان في عصره الإعلام المرئي لكان أشد خطرًا وأبعد أثرًا في الفساد والإفساد.

فأي شيء في الدفاع عن الحق؟ أو عندما يرفع أهل الباطل أصواتهم نستمع وننصت، فإذا ما انبرى لهم أهل الحق يُؤذون ويُستجوبون؟!

أمِن العدل أنهم يردون الـ ـماء صفواً وأن يُكدَّر وِرْدي؟!

أمِن الحق أنهم يطلقون الـ أسد منهم وأن تقيّد أسدى؟!

وما إن فرغت من الإجابة حتى رأيت السيد المحقق يثور ويفور ويتوهج ويتأجج كأنه لديغ نهشته الثعابين أو لدغته العقارب فقلت له: أرجو أن تُغير أسلوبك في التفاهم فلست عبدًا لك، ولا لغيرك، إنما عبوديتي للَّه وحده لا شريك له، ولا أسمح لك أن تضرب على المكتب بيديك، لأنني لست متهمًا وأنت البريء، ولست منحرفًا وأنت المستقيم، فأنا على حق؛ لذلك فإنني لا أخشاك، وسوف أتركك عما قليل، فاقض ما أنت قاض فالحكم للَّه العليّ الكبير!

ونزلت هذه الكلمات عليه كأنها الصواعق خاصة وأن المكان كان به عدد غير قليل من العاملين بالوزارة فرجع إلى صوابه، بعدما علم أنه سيُقابل بكل ما يقول بردّ حاسم، نظر السيد المحقق إلى الشيخين اللذين استدعاهما لحضور هذا اللقاء الغاضب وقال لأحدهما: ما رأي فضيلتكم في هذا الكلام الذي سمعته؟ وكان يظن أن الرجل سيجامله ويؤيده ويصفه بالحكمة والحزم لكن الرجل بحق كان على مستوى المسئولية أمام اللَّه فقال له: ما كان ينبغي أن يأخذ التحقيق دور الخصومة بينك وبين هذا الإمام الذي يدعو إلى اللَّه على بصيرة!!

فبهت وخفت صوته وخبأ جبروته فتوجه بالسؤال إلى الشيخ الثاني يستشيره الرأي فقال له الشيخ: ومن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إذا لم يكن الدعاة إلى اللَّه هكذا؟!. ثم قال له: إن الرجل لم يتجاوز حدود الرسالة ثم ساق له الحديث النبوي الشريف: «**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطنّ اللَّه عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم**».

واستطرد قالاً: لو وضعنا الأمور في نصابها وسمّينا الأشياء بأسمائها لقدّمنا لهذا الإمام الشكر جزاء ما حمل عنا هذا العبء في الدعوة؛ فإن الخير يجب أن يُقابل بالخير، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان!!

ثم قام الشيخان وعانقاني ودعوا اللَّه لي بالتوفيق والسداد، وشعر ذلك المحقق بانطفاء في قلبه وكأنه يجلس على الأشواك والحصى، تظله سحابة دكناء ونجم محترق!!»[1].

*** استدعاء بسبب القذافي:**

تحت هذا العنوان في مذكراته كتب الشيخ كشك ـ رحمه اللَّه ـ:

---

(١) «قصة أيامي» ص(٢٢٩ ـ ٢٣٢).

«كان الخلاف محتدمًا بين حكومتي مصر وليبيا، وكان بالطبع خلافًا سياسيًّا، وقد حدث أن حاكم ليبيا تعرّض للإسلام في أمور كان لا بد من الردّ عليها، ودفع به ذلك الجموح أو الجنوح إلى أن ينكر الاستدلال بالسنة النبوية الشريفة، ولقد سمعته بأذنيْ رأسي عن طريق الإذاعة يقول هذا الكلام الذي فيه استهانة بسنة خير الأنام، بل لقد قال كلامًا لا يليق بصاحب الرسالة العصماء... وكان لا بد أن يقول المنبر كلمته؛ ليردّ الحق إلى نصابه، ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون.

وألقيت خطبة بيّنت فيها مكانة السنّة من القرآن الكريم، وأنها بمثابة المذكرة التفسيرية لآيات الكتاب، كما أنها تأتي مؤكدة لما فيه من معان، كما تأتي مفصلة لما فيه من مطلق... وكان ذلك كله بتوفيق من اللَّه وفضله، لكن الأمر الذي لم أكن أتوقعه أن يصلني استدعاء كالعادة، وذهبت لأقف على حقيقة هذا الموضوع فكان الاستجواب خاصًّا بمهاجمة القذافي: لماذا تُهاجم العقيد؟ فقلت: وأيّ شيء في هذا؟ إنه ليس هجومًا كما تدّعون، وإنما هو دفاع عن الحق. لقد كان الأولى بهذا السؤال أن يُوَجّه إلى إعلامكم بمختلف قنواته مقروءًا أو مرئيًّا أو مسموعًا أو معروضًا... قالوا: ولكن تلك قنوات شرعية؟ قلت: بل قل قنوات قانونية، أما القنوات الشرعية فهي المنبر الذي ينطق بلسان الإسلام[1].

وعجبتُ

أحرامٌ على بلابله الدوحُ حلالٌ للطير من كل جنس

أإذا قال غيري تردّدون قوله بشتى اللغات، فإذا انطلق الإسلام ونطقه الحق وقوله الصدق يوضع في قفص الاتهام، ويُكبَّل بالقيود والأغلال؟ ما

(١) «قصة أيامي» ص(٢٣٣ ـ ٢٣٤).

لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون؟ أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين.

لكنني علمت أنها سياسة الذئب، مع الحمل، ورددت قول شاعر النيل حافظ إبراهيم:

أمِن العدل أنهم يردون الـ ـماء صفواً وأن يُكدَّر وِرْدي؟!
أمِن الحق أنهم يطلقون الـ أسد منهم وأن تُقَيَّدَ أُسْدِي؟!

❑ يقول الشيخ كشك ـ رحمه اللَّه ـ:

«لقد كان لعمر بن عبدالعزيز مستشار خاص هو عمر بن مهاجر قال له أمير المؤمنين: إذا رأيتني ضللت الطريق، فخذ بمجامع ثوبي وهزّني وقل لي: اتق اللَّه يا عمر فإنك ستموت... هكذا تكون علاقة العالم بالأمير.. علاقة نصح وإرشاد، وتواص بالحق، وتواصٍ بالصبر، فإذا ما حلّ النفاق محل النصيحة فكبّر على هذا المجتمع أربع تكبيرات لوفاته»[1].

❑ ويقول عن نفاق من نافق الحكّام:

«من بين علماء الأزهر من قال عنه: والذي نفسي بيده لو أنّ لي شيئًا من الأمر لرفعت هذا الرجل «يقصد به السادات» إلى قمة لا يُسأل عما يفعل. وقد ردّ عليه الشيخ عاشور فيما سمّوه بمجلس الشعب، وقال له: هذا كفر يا مولانا! فقال له الشيخ الوزير: أنا أعرف باللَّه منك.

ويوم وقعت النكسة وهي في الحقيقة هزيمة ووكسة، قام أحد أعضاء مجلس الأمة يرقص فرحًا وابتهاجًا بسلامة الرئيس كما غُصّت شوارع القاهرة بالمصفقين والهتّافين والراقصين المطالبين ببقاء الزعيم بطل الهزائم... كانوا يرقصون وهم المهزومون، وكان الناس في إسرائيل يعلنون الحداد ويصلّون

(١) «قصة أيامي» ص(٢٣٨).

على قتلاهم، فاعجب معي لشعب منهزم يرقص، وشعب منتصر يندب قتلاه!!... إنه الفرق بالإحساس بالمسئولية واللامبالاة. لقد طفح النفاق، وكثر المنافقون، وحملة القماقم... حتى وقف أحد المدرسين الذين كان السادات تلميذًا عندهم يقول في أحد المحافل أمام سيده السادات «إن في خلق السماوات والسادات لآيات لأولي الألباب» ثم أضاف قائلاً: لقد منح اللَّه سيدة مصر الأولى نصف الجمال، وقسّم النصف الآخر على نساء العالمين.

وجاء اليوم الذي قدّم فيه أحد أعضاء مجلس الشعب اقتراحًا بأن يُطلق على السادات لقب «سادس الخلفاء الراشدين»، وقال له أحد كبار المسئولين في الولايات المتحدة في خطاب ألقاه في أحد المؤتمرات: «إن اللَّه خلق السموات والأرض في ستة أيام اختص منها يومًا خلق فيه المسيح بن مريم وأنور السادات»... ولكن صاحبنا هذا كان أشد جنونًا من المتحدث فقد قال للوفد الذي كان يرافقه في تلك السفرة: «انشروا هذا الكلام في الصحف المصرية عندما نعود»، ولكن شاء اللَّه ألا يُنشر هذا الكلام في مصر حتى لا يُصاب الناس بصدمة تتعلّق بالعقيدة، وهي أغلى ما يملكه المسلم ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1].

❑ وقال الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ: «توالت الاستدعاءات، فكلما خطبت خطبة يوم الجمعة، جاء الاستدعاء يوم السبت، وكان التحقيق يوم الاثنين... هكذا من كل أسبوع، واختلفت أنواع التحقيق وتعددت نماذجه، فمرة تكون التهمة الموجّهة إليّ أنني أثير الفتنة الطائفية؛ لأن المسجد يقع في

(١) «قصة أيامي» ص(٢٢٠ ـ ٢٢١).

منطقة دير الملاك وهي إحدى قلاع الصليب. وسألت: ما هو الكلام الذي أثار الفتنة في الخطبة؟ وقال المحقق وكان يعمل وكيلاً لوزارة الأوقاف لشئون الدعوة: إنك تتعمّد ذكر الآيات التي تتحدث عن النصارى. قلت: أليست قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة؟ وذكّرني هذا الموقف بموقف أهل العناد من صاحب الرسالة وقد طلبوا منه أن يأتي بقرآن غير هذا القرآن، فحزن الرسول لذلك، فأنزل اللَّه: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

وأخيراً قال لي السيد المحقق بعبقريته الفذّة وفهمه العميق وبصيرته النافذة: عليك أن تصعد المنبر، ولكي تريحنا ونريحك اجعل موضوع خطبتك: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم انزل وصل بالمصلين... وقلت له: لو كان ذلك كذلك، لوجّهتم إليّ نفس التهمة وهي إثارة الفتنة الطائفية، ولقلتم في مذكرة الاتهام: إنه يقرأ سورة الإخلاص ويقصد بها التعريض بالنصارى المثلثين... وإذن لا جدوى من هذا التوجيه، فاللغة بيننا هي لغة الذئب الذي قال للحَمْل: عكّرْت عليّ الماء.

وماذا يصنع أهل الحق بقوم لبسوا جلد النمر، وقلبوا ظهر المجن، ولكن لا بد أن تسير القافلة والذئاب تعوي. وهل يضر السحاب نبح الكلاب. إن كلمة الحق أقوى من كيد الكائدين واللَّه أشد بأسًا وأشد تنكيلا»[1].

(١) «قصة أيامي» ص(٢٢٥).

* بذكر عمر أنت تُعَرِّض بالحكّام!!!

قال الشيخ كشك ـ رحمه اللَّه ـ:

«لم أكن أتوقّع أن يصل بهم الإسفاف إلى هذا الحدّ، في سلسلة الاستدعاءات ذهبت إلى المحقق نفسه، وإذا التهمة الموجهة هذه المرة يُقال فيها: إنك تتحدث كثيرًا عن عمر بن الخطاب. قلت: وأي شيء في هذا؟ قال المحقق الحصيف الأريب: إنك تقصد بذلك التعريض بالحكام؟ قلت: إذن فلا داعي إلى أن أذكر شيئًا عن عدالة الإسلام، وأن أضرب صفحًا عن ذكر حياة رسول اللَّه ﷺ وأصحابه فإنّ في ذكرهم تعريضًا بالحكّام كما تزعمون ولماذا تفهمون هذا الفهم؟ ولو كان فيه تعريض أو تصريح أليس الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر من مبادئ الإسلام؟ وما وظيفة العالم إذا لم يكن ناصحًا ومرشدًا؟»[1].

* الشيخ عبدالحميد كشك وشيخ الأزهر في أيّامه:

قال الشيخ عبدالحميد في مذكراته ص(٢٣٨ ـ ٢٤٠):

«وجّه شيخ الأزهر دعوة إلى رجال الدعوة الإسلامية للبحث في طرق الدعوة، ووضع منهج للدعاة، وكنتُ واحدًا من الذين وُجِّهت إليهم الدعوة، وكان مكان اللقاء في إدارة الأزهر وانعقد الاجتماع بعد صلاة الظهر... وبعد أن انتهى الاجتماع وهممت بالانصراف، أخذ شيخ الأزهر بيدي إلى مكتبه وقال لي: لماذا أغضبت الرئيس[2] منك؟ قلت له: لا أدري وأريد أن توضح الأمر لي، فقال: لماذا لم تذهب إلى الاجتماع الذي دعاك إليه في الإسماعيلية في رمضان؟ فقلت له: لأن اللَّه أراد ألا أحضر. وشرحت له

(١) «قصة أيامي» ص(٢٢٥ ـ ٢٢٦).

(٢) يعني: السادات.

كيف نسيت أن أفتح الخطاب حتى نسيت الموعد المضروب.

ثم سألت الشيخ: وما الذي أعلم فضيلتكم أنه غاضب مني؟ قال: لقد كنت أجلس عن يمينه وقد سأل وزير الإعلام وقال له: ألم يحضر؟ فقال له الوزير: نعم لم يحضر. فهزّ الرئيس رأسه غضبًا. قلت له: يا فضيلة الشيخ ولماذا لم تحاول أن تقول كلمة تُطفئ بها غضب القلوب؟ فقال: إنك تستطيع أن تقدم الآن اعتذار عما حدث. فقلتُ له: وهل أخطأتُ حتى أعتذر؟

فقال: ألا تعلم أننا نعيش في ظل الرئيس ورعايته؟ فقلت له بلسان اليقين ومنطق الحق المبين: ﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾ وألقيت السلام وانصرفت وأنا أردّد آية الكرسي التي اشتملت على الجلال والكمال والجمال ووصف اللَّه بالحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم. ووصفه بالعليّ العظيم. فهذا هو الذي نعيش في رعايته وعنايته وخيره ورزقه. يرحم اللَّه شيخ الأزهر فقد لحق بالدار الآخرة وعلم أن ما عند اللَّه خير وأبقى. ولكن أذلَّ الحرص أعناق الرجال».

*** الشيخ كشك وجعفر نميري:**

❑ قال الشيخ كشك: «وقف السادات يخطب في الخامس من سبتمبر (١٩٨١م) وقد فقد صوابه وطاش لبه، وكأنه أُصيب بالسعار فأنشب أنيابه ومخالبه فأوعد وهدّد وأرغى وأزبد، وحمل على الجماعات الدينية، وخص الإخوان المسلمين بنصيب الأسد، كما سفّه كبار الدعاة الإسلاميين، فرمى هذا بالجنون وذاك بالبذاءة، وذلك بأنه «مرمي كالكلب» وبقى أن يقول: ما علمت لكم من إله غيري أو أن يقول: أنا ربكم الأعلى. كما خصّني في بيان من بياناته بتهمة كاذبة خاطئة، ذكر فيها أن الرئيس السوداني جعفر النميري قد شكاني إليه، وأنني أهاجمه، وماذا يحدث لو صحّ هذا؟ أهناك أحد فوق مستوى التوجيه؟ أليس من عادة الأمراء والصالحين أن يسألوا

العلماء المخلصين النصح؟

ألم يقل أحد الناس لعمر بن الخطاب: اتق اللَّه يا أمير المؤمنين؛ فنهره أحد الجالسين فقال الفاروق ﷺ: لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نقبلها؟

ألم يقل عمر ﷺ ذات يوم: رحم اللَّه امرأً أهدى إليّ عيوبي؟، ألم يقل اللَّه لنبيه ومصطفاه ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾؟ ألم يقل خليفته أبو بكر ﷺ بعدما بويع بالخلافة: يا أيها الناس لقد وُلّيت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني. أطيعوني ما أطعتُ اللَّه فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم. الصدق أمانة والكذب خيانة... القوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

إن تعجب فاعجب لأمر هؤلاء الذين يتأججون نارًا إذا قيل لهم اتقوا اللَّه في الرعية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[1].

* يوم التحقيق:

تحت هذا العنوان يذكر الشيخ عبدالحميد في قصة أيامه ص(٢٥٨،

(١) «قصة أيامي» ص(٢٥٦ ـ ٢٥٧).

٢٥٩): «دخلت على المحقق ووجه أسئلته، وكان أكثرها يدور حول الخطب، ومن هذه الأسئلة التي ما زلت أذكرها هذا السؤال الخالد: لماذا تهاجم نيللي؟ وكأن نيللي هذه قد أصبحت ذاتها مصونة لا تُمَس!! ومن أرادها بسوء قصمه اللَّه، وكأنها كنانة اللَّه في أرضه أو مبعوثة العناية الإلهية، وشمس الهداية الربانية السيدة المصونة والجوهرة المكنونة!!

قلت: إنما كنت أطالب تأخير فوازيرها حتى نصلّي القيام، فقد صرفت الناس عن صلاة القيام في رمضان، ثم قلت: لقد صارت كالهلال نصوم لفوازيرها ونفطر لفوازيرها.

وتوالت الأسئلة:

❑ ماذا كنت تقصد بقولك: «على الذين يتمثلون بعمر أن يحذو حذوه؟ قلت: وأي شيء في هذا؟ ثم أي تهمة في تلك الكلمة؟ أليس الدين كما أخبر الصادق المعصوم: النصيحة؟ قالوا: لمن؟ قال: للَّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

❑ وسُئلت: لماذا تُهاجم عيد الأم؟

قلت: لأنه بدعة وفدت علينا من باريس، فليس في الإسلام ما يُسمّى عيدًا إلا عيد الفطر، وعيد الأضحى، فحرام علينا أن نظهر البر بالأم يومًا واحدًا، ونعقّها ثلاثمائة وأربعة وستين يومًا.

❑ قال: لماذا تهاجم الكرة؟

قلت: لأنها تحوّلت إلى رياضة مذمومة وأصبح ضررها كالخمر والميسر توقع العداوة والبغضاء بين الناس وتصد عن ذكر اللَّه وعن الصلاة.

❑ وسُئلت: لماذا تهاجم الإعلام؟

قلت: لأنه أصبح يهدم ولا يبني، ويبدّد ولا يصون ويورث ضعف

الوازع الديني والتفسخ الأخلاقي، والانحلال الاجتماعي، والناس على دين إعلامهم. وقد قيل: أعطني شاشة أغيّر بها شعبًا، فهل مثل هذا الإعلام الذي يدور حول فيلم أو مسرحية، أو مسلسل، أو فوازير وقد سرت السموم الناقعات في خلاياه، هل مثل هذا يبني النفوس القوية المتصفة بالصدق المتحلية بالأمانة؟ لقد استطاع الإعلام أن يُنسيَ الناس أن شهر رمضان شهر القرآن والصيام والبر والنصر والقدر والقيام وبدر، وهكذا كانت الأسئلة وهكذا أجبت.

وكان الإيمان دائمًا يضع نصب عيوننا ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

لقد منعوا هذا الصوت أن يهدر على المنابر ولكنهم لم يمنعوه أن يموت كما يريد.. كان يسأل ربه أن يموت في سجوده.. ومات الشيخ يوم الجمعة وهو يصلي قبل الجمعة.. مات في سجوده وبقي اسمه يترحم الملايين عليه إذا ذكروه وهم يلعنون الظالمين وبقي الإسلام.

فكم زالت رياضٌ من رُباها ... وكم بادت نخيل في البوادي
ولكن نخلة الإسلام تنمو ... على مرّ العواصف والعوادي
ومجدك في حمى الإسلام باق ... بقاء الشمس والسبع الشداد

* وصدق اللَّه تعالى إذ يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

إمام العصر وسيد علمائه الشيخ عبدالعزيز بن باز

مناقب الإمام الشيخ ابن باز لا تُحصى من صدع بالحق ونشر للعلم ودعوة للتوحيد والسنة وتحذير من البدع والمحدثات وزهد وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وإطعام للطعام وتهجد وعبادة كان له فيها قصب السبق..